

روح المعاني

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بإﷻ وبرسوله وقد يراد به ما هو الكامل وهو الكفر ويكون هذا منه تعالى بيانا وتقريراً لذلك والإستثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم أن تقبل نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم ومنع يتعدى إلى مفعولين بنفسه وقد تعدى إلى الثاني بحرف الجر وهو من أو عن وإذا عدى بحرف صح أن يقال : منعه من حقه ومنع حقه منه لأنه يكون بمعنى الحيلولة بينهما والحماية ولا قلب فيه كما يتوهم وجاز فيما نحن فيه أن يكون متعدياً للثاني بنفسه وأن يقدر حرف وحذف حرف الجر مع إن وأن مقيس مطرد . وجوز أبو البقاء أن يكون أن تقبل بدل إشتمال من هم في منعهم وهو خلاف الظاهر وفاعل منع ما في حيز الإستثناء وجوز أن يكون ضمير اﷻ تعالى وأنهم كفروا بتقدير لأنهم كفروا . وقرأ حمزة والكسائي يقبل بالتحانية لأن تأنيت النفقات غير حقيقي مع كونه مفصلاً عن الفعل بالجار والمجرور وقرئ نفقتهم على التوحيد . وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم ببناء يقبل للفاعل ونصب النفقات والفاعل إما ضمير اﷻ تعالى أو ضمير الرسول ﷺ بناء على أن القبول بمعنى الأخذ ولا يأتون الصلاة المفروضة في حال من الأحوال إلا وهم كسالى أي إلا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون .

45 .

- الإنفاق لأنهم لا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون على تركهما عقاباً وهاتان الجملتان داخلتان في حيز التعليل واستشكل بأن الكفر سبب مستقل لعدم القبول فما وجه التعليل بمجموع الأمور الثلاثة وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره أثر وأجاب الإمام بأنه إنما يتوجه على المعتزلة القائلين بأن الكفر لكونه كفراً يؤثر في هذا الحكم وأما على أهل السنة فلا لأنهم يقولون : هذه الأسباب معارف غير موجبة للثواب ولا للعقاب وإجماع المعارف الكثيرة على الشيء الواحد جائز والقول بأنه إنما جيء بهما لمجرد الذم وليستا داخلتين في حيز التعليل وإن كان يندفع به الإشكال على رأي المعتزلة خلاف الظاهر كما لا يخفى فإن قيل الكراهية خلاف الطوعية وقد جعل هؤلاء المنافقون فيما تقدم طائعين ووصفوا ههنا بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون وظاهر ذلك المنافاة وأجيب بأن المراد بطوعهم أنهم يبذلون من غير إلزام من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لا أنهم يبذلون رغبة فلا منفاة وقال بعض المحققين في ذلك : إن قوله سبحانه : أنفقوا طوعاً أو كرهاً لا يدل على أنهم ينفقون طائعين بل غايته أنه ردد حالهم بين الأمرين وكون التردد ينافي القطع محل نظر كما إذا قلت : إن أحسنت أو أسأت لا أزورك مع أنه لا يحسن قطعاً ويكون التردد لتوسع

الدائرة وهو متسع الدائرة .

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم أي لا يروك شيء من ذلك فإنه إستدراج لهم ووبال عليهم
حسبما ينبيه عنه قوله تعالى : إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا والخطاب
يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكون لكل من يصلح له على حد ما قيل في
نحو قوله تعالى : لا تشرك بالله ومفعول الإرادة قيل : التعذيب واللام زائدة وقيل : محذوف
واللام تعليلية أي يريد إعطائهم لتعذيبهم وتعذيبهم بالأموال والأولاد في الدنيا لما أنهم
يكا بدون جمعها وحفظها المتاعب ويقاسون فيها الشدائد والمصائب وليس عندهم من الإعتقاد
بثواب الله تعالى ما يهون عليهم ما يجدونه وقيل : تعذيبهم في الدنيا بالأموال لأخذ الزكاة
منهم والنفقة في سبيل الله